برد الاكباد عند فقد الأولاد

للشيخ الحافظ المحدث أبي عبد الله محمد بن عبد الله

المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي

المتوفى سنة ٨٤٢ هـ

قـــدم له

عبد القـادر بن شيبة الحمد

من علمــــاء الأزهر

طبع على نفقة المحسنين

أثابهــم الله

عــام ١٤٠٠ هـ

212

ع ب

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بالكتاب

هذا الكتاب الذى بين يديك أيها القارىء ، درة فريدة في باب المواساة، والمواســاة حق انسانى حض عليه الدين ، ورغب فيه الاسلام ، وهو خلق فاضل ، وسجية محمودة . لا سيما اذا كانت المواساة لفقد فلذة من فلذات الأكباد . والتعزية من كتاب الله وسنة رسوله ، اذا صدرت من عارف بها ، كانت كالغيث أصاب أرضا جدباء ، فاذا هى جنة فيحاء ، ورغم حاجة الناس الملحة الى مثل هذا النوع من التأليف ، فانا لا نعلم كتابا ألف فيه غير كتابين اثنين باسمين متشابهين ، هما كتاب (تبريد حرارة الأكباد ، في الصبر على فقد الأولاد) للشيخ الكمال أبى حفص عمر بن أحمــد بن العدية الحلبى المتوفي سنة ٦٦٠ هـ وثانى الكتابين هو (برد الأكباد عند فقد الأولاد) وهو هذا .

ولعل الكتاب الثانى مستفاد من الأول ومختصر منه . فقد ذكر صاحب كشف الظنون : أنه مختصر ، وقد ذكر المــؤلف في كتابه : أنه تذكرة لأولى الألباب . وتسلية لكل مؤمن مصاب ، تشرح صدره وتجلب صبره ، وأنه كتبه على استعجال لغرض اقتضاه الحــال ، وهو موت ولد أحــد السادة المحسنين .

والناظر في هذا الكتاب يعجب لهذا الأسلوب الرائع في التعزية والمواساة، فبينا القارىء يرتع في روضة أينعتها آية قرآنية ، اذا به يقــدم له درة نفيسة من موعظة نبوية . ثم ينشد له من شعره أو نظم غيره ، رقيقة شــعرية . ولا ينسي أن ينقل في هذا الكتاب قصصا نقلها الأصمعى وغيره عن بعض الأعراب. هى في باب المواعظ ، عجيبة غريبة .

لذلك كان هــذا الكتاب درة نفيسة ، ينبغى أن تنشر وتشاع ، وينتفع الناس بها في سائر البقاع .

فمن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة .

ترجمة المؤلف

نسبه ومولده :

هو حافظ دمشق شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أحمد بن مجاهد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن علي القيسي الدمشقي ، الشهير بابن ناصر الدين •

ولد في أواسط محرم سنة سبع وسبعين وسبعمائة بدمشق •

نشأته وشيوخه :

نشأ بدمشق ، وحفظ القرآن العزيز ، وعدة متون • وسمع الحديث في صغره من الحافظ أبي بكر بن المحب ، وتلا بالروايات على ابن البانياسي ، ثم أكب على طلب الحديث ولازم الشيوخ ، وسمع من خلق• منهم : بدر الدين بن قوام ومحمد ابن عوض والعز الأبناسي ، وابن غشم المرداوي ، والصدر المناوي ونجم الدين ابن العز ، وبرهان الدين بن عبد الهادي ، وأبو هريرة ابن الذهبي ، وخلائق يطول ذكرهم •

وأخبر السخاوي أنه قرأ على ابن حجر ، وأن ابن حجر قرأ عليه • ومهر في الحديث ، وكتب وخرج ، وعرف العالي والنازل ، وخرج لنفسه ولغيره ، وصار حافظ الشام بلا منازع •

وقد أخذ العربية : عن ابن البانياسي وغيره •

وقد أخذ الفقه : عن ابن خطيب الدهشة ، والسراج البلقيني •

وأجاز له من القاهرة : الحافظ الزين العراقي والسراج ابن الملقن وغيرهما •

واشتهر اسمه وبعد صيته ، وألف التآليف الجليلة .

مؤلفاته :

منها :

١ ــ توضيح مشتبه الذهبي في ثلاث مجلدات كبار .

٢ ــ الاعلام بما وقع في مشتبه الذهبي من الأوهام . وهو مجرد من الكتاب السابق .

٣ ــ بديعة البيان عن موت الأعيان نظما .

٤ ــ التبيان شرح منظومة بديعة البيان .

٥ ــ عقود الدرر في علوم الأثر نظما .

٦ ــ الشرح المطول لعقود الدرر .

٧ ــ الشرح المختصر لعقود الدرر .

٨ ــ السراق من الضعفاء .

٩ ــ كشف القناع عن حال من افترى الصحبة والأتباع .

١٠ــ اتحاف السالك برواية الموطأ عن مالك .

١١ــ جامع الآثار عن مولد المختار . ثلاثة أسفار كبار .

١٢ــ مورد الصادي في مولد الهادي .

١٣ ــ اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق وهو مختصر من جامع الآثار .

١٤ــ رسالة في المعراج .

١٥ــ رسالة في الوفاة النبوية .

١٦ــ افتتاح القاري لصحيح البخاري .

١٧ــ تحفة الاخباري بترجمة البخاري .

١٨ــ منهاج السلامة في ميزان القيامة .

١٩ــ التنقيح لحديث التسبيح .

٢٠ـ جزء في فضل يوم عرفة .

٢١ـ جزء في فضل يوم عاشوراء .

٢٢ـ برد الأكباد عند موت الأولاد ـ وهو هذا .

٢٣ـ نفحات الأخيار في مسلسلات الأخبار .

٢٤ـ الأربعون المتباينة الأسانيد والمتون .

٢٥ـ مسند تميم الداري وترجمته .

٢٦ـ عرف العنبر في وصف المنبر .

٢٧ـ الروض الندي في الحوض المحمدي . مجلد . ذكر فيه طرق حديث الحوض من ثمانين طريقا .

٢٨ـ ربع الفرع في شرح حديث أم زرع .

٢٩ـ رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة .

٣٠ـ جزء فيه أحاديث ستة عن حفاظ ستة في معان ستة من مشائخ الأئمة الستة ، بين مخرجيها وبين رواتها ستة .

٣١ـ نيل الأمنية بذكر الخيل النبوية .

٣٢ـ الاملاء الأنفس في ترجمة عسعس .

٣٣ـ اعلام الرواة بأحكام حديث القضاة .

٣٤ـ الأعلام الواضحة في أحكام المصافحة .

٣٥ـ اطفاء حرقة الحوبة بالباس خرقة التوبة .

٣٦ـ مختصر في مناسك الحج .

وعدة مصنفات أخر .

وفاته :

توفي بدمشق في ليلة الجمعة سادس عشر من ربيع الآخر سنة ٨٤٢ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العادل فيما قدره وقضاه ، القادر القاهر بما أمر به من أمره وأمضاه ، فمن رضي بذلك أنعم عليه فأرضاه ، ومن سخطه فله السخط ولقد أبعده وأقصاه ، فبؤسا للذين لقضائه يسخطون ، وتعسا لمن بأحكامه يتبرمون ، وهنيئا لمن لأفعاله يسلمون ، ولحكمه يستسلمون ، فهم بكل قضاه راضون ، وعلى كل حال قائلون : انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون .

فنحمد الله على حلو القضاء ومره ، ونشكره دائما على ما أنفذ من أمره ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، شهادة صابر على مصابه ، موقن بما وعد الله على الصبر من جزيل ثوابه ، وأوعد على السخط من وبيل عقابه ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله المأمون الذى جعل الله مماته تسلية لكل مؤمن محزون ، وأنزل عليه في كتابه المكنون ، وخطابه المأمون (انك ميت وانهم ميتون) صلى الله عليه وعلى آله ذوى الشرف العالى ، والفخر المؤيد ، وعلى أصحابه أولى المعالى والرأى السديد ، وسلم تسليما كثيرا لا ينقطع ولا يبيد .

أما بعد . فهذه تذكرة لأولى الألباب ، وتسلية لكل مؤمن مصاب ، تشرح صدره ، وتجلب صبره ، وتهون خطبه ، وتجفف أمره . ويلحظ بها ثوابه على الصبر وأجره . كتبتها على استعجال في أوائل شهر شوال لغرض اقتضاه الحال حين بلغني موت ولد بعض السادات المحسنين والاخوان الأعزين الأكرمين ، أعظم الله أجره على مصابه ولا حرمه جزيل ثوابه ، وألهمه التسليم لأمره والرضي بالقضاء حلوه ومره ، وأخلف عليه من مصابه أحسن الخلف . ولطف به كما لطف بصالح السلف ، بمنه وكرمه وأقول :

سبحان من يبتلى أناسا أحبهم والبلاء عطاء
فاصبر لبلوى وكن راضيا فان هذا هو الدواء
سلم الى الله ما قضاه ويفعل الله ما يشاء

والتعزية سنة سنية ، وخصلة مستحبة مرضية . ولم أجد تعزية للمصاب أعظم من آيات في الكتاب يليها أخبار وآثار ممزوجة ، بحكايات وأشعار • فلخصت من ذلك ما حضرني معزوا مخرجا ، ليكون للمشار اليه ، ولكل مصاب فرجا ومخرجا ، ولأشارك المصاب في ثوابه وبره ، لما رويناه عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عزى مصابا فله مثل أجره » أخرجه الترمذى وابن ماجة وغيرهما • وعن عمرو بن حزم رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة » انفرد ابن ماجة باخراجه • وفي الباب عن أبى هريرة وأبى برزة ، وجابر وغيرهم . رضي الله عنهم •

وهذا حين الشروع في المراد ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، قال الله عز وجل (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات • وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبةقالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) وقال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وقال تعالى (والله يحب الصابرين) وقال تعالى (انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب) قيل : يعطون عطاء كثيرا أوسع من أن يحسب أو يحاط به ، والآيات الشريفات في ذكر الصبر كثيرات •

وأما الأحاديث النبوية في فضل الصبر وثوابه والأمر به لمن آلمه نزول مصابه ، فكثيرة جدا •

منها : حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الطهور شطر الايمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء . والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » خرجه مسلم في صحيحه والامام أحمد في مسنده وابن ماجة في سننه . والنسائي مختصرا في كتابه (عمل اليوم والليلة) وهو حديث عظيم الفوائد ، جليل الأحكام . وهو أصل من أصول الاسلام وفيه الاشارة الى أن الصابر لا يزال مستضيئا بنور الهداية مستمرا على الصواب مع ما في ذلك من حصول الأجر والثواب .

وخرج مسلم أيضا من حديث صهيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله له خير وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ، ان أصابته سراء شكر ، وكان خيرا له . وان أصابته ضراء صبر ، وكان خيرا له » وعن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أعجبكم ان المؤمن اذا أصاب خيرا حمد الله وشكر ، واذا أصابته مصيبة حمد الله وصبر ، فالمؤمن يؤجر على كل شيء حتى اللقمة يرفعها الى فيه » خرجه النسائي .

وأقول :

يجرى القضاء وفيه الخير نافلة   لمؤمن واثق بالله لا لاهى
ان جاءه فرج أو نابه ترح   في الحالتين يقول الحمد لله

قال المبارك بن فضالة العدوى البصرى سمعت الحسن يقول : كان أيوب عليه الصلاة والسلام كلما أصابته مصيبة قال « اللهم أنت أخذت ، وأنت أعطيت مهما تبقى نفسي ، أحمدك على حسن بلائك » .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر » وخرجه أبو داود والترمذي والنسائي .

وخرج الحاكم أبو عبد الله في مستدركه ، وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا « ما رزق الله عبدا خيرا له ولا أوسع من الصبر » وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله تعالى أوحى الى عيسي عليه السلام اني باعث من بعدك أمة ، ان أصابهم ما يحبون حمدوا الله ، وان أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ، ولا حلم ولا علم . فقال : يارب كيف يكون هذا ؟ قال أعطيهم من حلمي وعلمي » خرجه الامام أحمد وأبو بكر البزار في مسنديهما والطبراني في معجمه الأوسط والحاكم في مستدركه وصححه .

وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وان الله اذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » خرجه الترمذي .

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا أحب الله قوما ابتلاهم ، فمن صبر فله الصبر ، ومن جزع فله الجزع » خرجه الامام أحمد في مسنده .

وقد صح عن أنس رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكي على صبي لها ، فقال لها : اتقي الله واصبري . فقالت : وما تبالي بمصيبتي ؟ فلما ذهب قيل لها : انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها مثل الموت ، فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين فقالت : يا رسول الله لم أعرفك ؟ فقال : انما الصبر عند أول صدمة » خرجاه في الصحيحين . ومعنى انما الصبر عند أول صدمة . وفي رواية « عند الصدمة الأولى » ان كل ذي مصيبة آخر أمره الصبر . ولكنه انما يحمد عند حدتها ، وفور شدتها لأن مصير ذي الجزع الى السلوان . ولو أقام على قبر ميته مدة زمان .

روينا : أن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم « لما مات ضربت

امرأته القبة على قبره سنة . ثم رفعت فسمعوا صائحا يقول : الأهل وجدوا ما فقدوا ؟ فأجابه آخر : بل يأسوا فانقلبوا » علقه البخـارى في صحيحه . وفي رواية « لما تسلت وقلعت الخيمة ، سمعوا هاتفا يقول : ولا يرون أحـد أدركوا ما طلبوا . فأجابه : بل يأسوا فانصرفوا » .

والأحاديث في ذكر الصبر وفضـله كثيرة . اقتصرنا منها على هـذه النبذة اليسيرة .

ومعنى الصبر لغة : الحبس ومداره على أركان ثلاثة . امساك النفس عن التسخط بالقضاء ، وحبس اللسان عن القول السيء والبذيء . وتقييـد الجوارح عن المعصية . كاللطم وشق الثيـاب ، وتسويد الفنـا . فاذا قام الانسان بهذه الأركان حاز فضيلة الصبر الذى هـو نصف الايمان وانقلبت محنته منحة عظيمة ، واستحالت بليته عطية جسيمة ، وصار ما كرهه محبوبا ، وللأجور العظيمة حائزا مصيبا » خرجه الترمذى عن أبى ذر رضي الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الزهادة في الدنيـا : أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله ، وأن تكون في ثواب المصيبـة اذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك » .

وجاء عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « في قوله تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال : هى المصيبة تصيب الرجـل فيعلم أنها من عند الله فيرضي ويسلم » وعلقه البخارى في صحيحه عن علقمة بنحوه .

وعن أم الدرداء رضي الله عنها أنها كانت تقول « ان الراضين بقضـاء الله الذين ما قضي لهم رضوا به ، لهم في االجنة منازل يغبطهم بها الشهداء ، يوم القيامة » .

وقال أحمـد بن أبى الحوارى حدثنى جعفر بن محمـد بن الأبنا قال « ذكروا عند رابعة عابدا كان في بنى اسرائيل ، لا يطعم الا في كل سنة مرة ،

ينزل من متعبده ، فيأتي مزبلة على باب الملك ، فيتقمم من فضول مائدته • فقال رجل عندها ــ أي عند رابعة ــ وما على هذا ان كان في هذه المنزلة ، ان سأل الله تعالى أن يجعل رزقه من غير هذا ؟ فقالت رابعة : يا هذا ان أولياء الله اذا قضي لهم قضاء لم يتسخطوه » •

وما ورد من المأثور فيما للمصاب من الأجور أحاديث جمة مصرحة بحصول الثواب والرحمة •

منها : ما أخرجه البخاري وغيره ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يرد الله به خيرا يصب منه »•

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما ابتلى الله عبدا ببلاء وهو على طريقة يكرهها ، الا جعل الله ذلك البلاء كفارة وطهورا ، مالم ينزل ما أصابه بغير الله ، أو يدع غير الله في كشفه » خرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات •

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال « قلت : يا رسول الله • أي الناس أشد بلاء ؟ قال الأنبياء ، ثم الأمثل فالامثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد ، حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة » خرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة وابن أبي الدنيا • وصححه الترمذي وهو في صحيح أبي حاتم ابن حبان • ولفظه عن سعد قال « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ، ثم الأمثل فالامثل ، يبتلى الناس على قدر دينهم ، فمن ثخن دينه اشتد بلاءه ، ومن ضعف دينه ضعف بلاءه ، وان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة » •

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة » خرجه الترمذي والحاكم • وصححاه •

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ، وأبو هريرة رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال : ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه » .

وعن أنس رضي الله عنه قال « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم شجرة فهزها حتى تساقط ورقها ، ما شاء الله أن يتساقط ، ثم قال للمصيبات والأوجاع : أسرع في ذنوب ابن آدم مني في هذه الشجرة » خرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده وابن أبي الدنيا .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل . فما يزال يبتليه مما يكره حتى يبلغه اياها » خرجه أبو يعلى أيضا ، ومن طريقه خرجه ابن حبان في صحيحه .

وعن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما أصاب رجلا من المسلمين بلية فما فوقها ، حتى ذكر الشوكة الا لاحدى خصلتين ، اما ليغفر الله له من الذنوب ذنبا لم يكن ليغفر له الا بمثل ذلك ، أو يبلغ به من الكرامة كرامة لم يكن ليبلغها الا بمثل ذلك » خرجه أبو بكر ابن أبي الدنيا .

وقال أبو المليح : حدثنا محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده ــ وكان لجده صحبة ــ رضي الله عنه « أنه خرج زائرا لرجل من اخوانه فبلغه أنه شاك قبل أن يدخل عليه . فقال : أتيتك زائرا وأتيتك عائدا ومبشرا قال : كيف جمعت هذا ؟ قال : خرجت وأنا أريد زيارتك فبلغني شكايتك فكانت عبادة، وأبشرك بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا سبقت للعبد من الله عز وجل منزلة لم يبلغها ــ أو قال ــ لم ينلها بعمله ابتلاه الله عز وجل في جسده ، أو في ولده ، أو في ماله ، ثم صبره حتى يبلغه المنزلة التي

سبقت له من الله عز وجل » خرجه أبو موسي المديني في التتمة . وهو في مسند الامام أحمد وأبي يعلى الموصلي ، رحمهما الله . وخرجه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط بنحوه .

والابتلاء في الأولاد ، من أعظم الابتلاء وأثقل الأنكاد ، وهو نار تستعر في الفؤاد . وحرقة تضطرم في الأكباد ، ولهـذا كان ثواب الصبر على ذلك جزيلا ، ويكون أجره في ميزانه يوم القيامة ثقيلا .

خرج النسائي عن أبي سلمى رضي الله عنه راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بخ بخ بخمس ما أثقلهن في الميزان : لا اله الا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر . والولد الصالح يتوفي للمرء فيحتسبه » وخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه والطبراني في معجمه الكبير .

وجاء من حديث ثوبان فيما خرجه البزار في مسنده ، وحسن اسناده . ومن حديث سفينة فيما خرجه الطبراني في معجمه الأوسط باسناد جيد . لكنه من الأفراد .

وفي الحديث الطويل المروى عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « انى رأيت البارحة عجبا . قال ورأيت رجلا من أمتي خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه » الحديث بطوله.

وقال خلاد بن منصور الواسطى : حدثنا داود بن أبى هند قال « رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت ، وكأن الناس يدعون الى الحساب . قال . فقربت الى الميزان فوضعت حسناتي في كفة وسيئاتي في كفة ، فرجحت السيئات على الحسنات . فبينما أنا كذلك مغموم ، اذ أتيت بشيء كالمنديل أو كالخرقة البيضاء . فوضعت مع حسناتي ــ يعني فرجحت ــ فقيل له : تدرى ما هذا ؟ قلت : لا . قال : سقط كان لك . قلت : فانه قد ماتت لي

صبية ابنة لى • فقيل لى : تيك ليست لك ، لأنك كنت تتمنى موتها » •
داود بن أبى هند هذا رأى أنس بن مالك وكان أحد أعلام الأمة ، صائم الدهر ، قانتا لله • توفي سنة أربعين ومائة •

وفي الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد ، فتمسه النار الا نحلة القسم » وخرجه الترمذى والنسائى • قال الترمذى : وفي الباب عن عمر ومعاذ وكعب بن مالك ، وعتبة بن عبد ، وأم سلمة ، وجابر ، وأنس وأبى ذر وابن مسعود ، وأبى ثعلبة الأشجعى ، وابن عباس وعقبة بن عامر ، وأبى سعيد ، وقرة بن اياس المزنى رضي الله عنهم • انتهى •

وخرج مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال « أتت امرأة النبى صلى الله عليه وسلم بصبى لها فقالت : يا رسول ادع الله له ، فلقد دفنت ثلاثة • فقال : دفنت ثلاثة ؟ قالت : نعم • قال : لقد احتضرت بحضار شديد من النار » وروينا من حديث على بن عياش حدثنا حفص حدثنا عاصم عن أبى رزين عن أبى هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد ، الا كان لهما حائطا بينهما وبين النار » ومن حديث عتبة بن عبد السلمى رضي الله عنه قال « سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ما من رجل يموت له ثلاثة من الولد ، لم يبلغوا الحنث الا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية ، من أيها شاء دخل » وخرجه ابن ماجة والطبرانى في معجمه الكبير •

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث ، الا أدخلهما الله وأبويهما الجنة • قال : يكونون على باب من أبواب الجنة فيقال لهم : أدخلوا الجنة فيقولون : حتى يجىء آباؤنا • فيقال لهم : أدخلوا الجنة • فيقولون : حتى يجىء آباؤنا • فيقال لهم : أدخلوا الجنة أنتم وآباءكم بفضل رحمة الله » •

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسوة من الأنصار « لا يموت لاحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبهم الا دخلت الجنة . فقالت امرأة منهن : أو اثنين يا رسول الله ؟ قال : أو اثنين » وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال « جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك به ، تعلمنا من علمك الله . قال : اجتمعن يوم كذا وكذا . فاجتمعن فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله . ثم قال : ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة ، الا كانوا لها حجابا من النار ، فقالت امرأة : واثنين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : واثنين » وخرجه النسائي .

وعن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه رضي الله عنهما ، قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قدم ثلاثة لم يبلغوا الحنث ، كانوا له حصنا حصينا . قال أبو ذر رضي الله عنه : قدمت اثنين . قال : واثنين . فقال أبي بن كعب سيد القراء رضي الله عنه ، قدمت واحدا ؟ قال : وواحدا ، ولكن انما ذلك عند الصدمة الأولى » خرجه أحمد والترمذي وابن ماجة .

وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله عز وجل : ما لعبدي المؤمن جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما « أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة فقالت عائشة رضي الله عنها : فمن كان له فرط من أمتك ؟ قال : ومن كان له فرط ياموفقة . فقالت : فمن لم يكن له فرط من أمتك ، قال : فأنا فرط أمتي ، لن يصابوا بمثلي » خرجه الترمذي وهو في مسند الامام أحمد، ومعجم الطبراني الكبير.

وخرج ابن أبى الدنيا في كتاب العزاء من حــديث ضمرة بن ربيعــة ، عن رجاء بن جميل الأيلى ، رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال « من مات ولم يقدم فرطا لم يرد الجنة الا تصريدا • قيل : يا رسول الله ما الفرط ؟ قال الولد • أو وله الولد ، والأخ يؤاخيه في الله عز وجل ، فمن لم يكن له فرط• فأنا له فرط » التصريد : السقي دون الترى ، ويستعمل في التعليل • يقال : صرد له العطاء اذا أقلله •

وروينا عن على رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ان السقط ليراغم ربه عز وجل اذا دخل أبواه النار • فيقال : أيها السقط المراغم ربه ، أدخل أبويك الجنــة ، فيجرهما بسرره حتى يدخلهما الجنــة » المراغمة • المغاضبة •

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وســلم أنه قال « والذى نفسي بيده ان السقط ليجر أمه بسرره الى الجنة اذا احتسبته » انفرد باخراجه ، واخراج الذى قبله ابن ماجة • وحــديث معاذ خرجه أيضا عبد بن حميد في مســنـده مطولا • ولفظه عن معاذ بن جبل رضي الله عنــه « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد ، الا أدخل الله والديه الجنة بفضــل رحمته اياهم • قالوا : واثنين يا رسول الله ؟ قال : واثنين • قالوا : وواحدا يا رسول الله ؟ قال : ان السقط ليجر أمه بسرره الى الجنــة » والسرر : ما تقطعــه القابلة من سرة المــولود ويقال : سر أيضا •

وخرج ابن ماجة أيضا عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السقط أقدمــه بين يدى أحب الى من فارس أخلفــه خلفى » وقال ليث بن أبى سليم عن سعيد عن حميد بن عبد الرحمن الحميدى ــ لعله الحميرى ــ « قال : يا رســول الله مالى من ولدى ؟ قال : ما قدمت منهــم » •

وخرج مسلم عن أبى حسان واسمه مسلم بن عبــد الله الأعرج • قال :

قلت لأبى هريرة رضي الله عنــه : « أنه قد مات لى ابنان فما أنت محدثى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحــديث تطيب به أنفسنا عن موتانا . قال : نعم صغارهم دعاميص الجنة فيلقى أحدهم أباه ــ وقال أبويه ــ فيأخذ بثوبه وقال كما أخذنا بصنفة ثوبك هذا ، فلا يتناهى ــ أو قال ينتهى ــ حتى يدخله الله وأبويه الجنة » قال والد عموص دويبة تغوص في المــاء . وجاء في رواية « ينغمسون في أنهار الجنة »ــ يعنى يغصون في الأنهارــ والغمس : الغوص. فهم يلعبون في أنهار الجنة وصنفة الثوب ــ بكسر النون ــ طرفه وهى جانبه الذى لا هدب له . ويقال هى حاشية الثوب أى جانب كان .

وخرج الامام أحمد في مسنده عن معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه « أن رجلا كان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ابن له ، فقــال له النبى صلى الله عليه وسلم : أتحبه ؟ فقال : يا رســول الله أحبك الله كما أحبــه ، ففقده النبى صلى الله عليه وسلم . قال : ما فعل ابن فلان ؟ قالوا يا رسول الله مات . فقال : رسول الله صلى الله عليه وســلم : ما تحب أن لا يأتى بابا من أبواب الجنــة الا وجدته ينتظرك ؟ فقال رجــل يا رسول الله له خاصــة ، أو لكلنا ؟ قال : بل لكلكم » .

وخرج النسائى وغيره ، منهم الطبرانى في معجمه ولفظــه « كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا جلس يجلس اليه نفر من أصحابه ، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيــه من خلف ظهره ، فيقعــد بين يديه الى أن هلك الصبى ، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة ، يذكر ابنه ويحزن عليه ، ففقده النبى صلى الله عليه وسلم فقال : مالى لا أرى فلانا ؟ فقالوا : يا رســول الله ، بنيه الذى رأيت هلك فمنعه ذلك من حضور الحلقة ، فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عنه ، فأخبره أنه قد هلك فعزاه عليه ، ثم قال يا فلان أيهما كان أحب اليك ، أن تمتع به عمرك ، أو لا تأتى غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدته قد سبقك اليه يفتح لك ؟ فقال : يا نبى الله ، بل يسبقنى الى أبواب الجنــة فيفتحها لى أحب الى . قال : فذلك لك ، قال فقام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله جعلنى الله فداك ، هذا لفلان خاصــة ، أو لمن هلك له فرط من المسلمين كان

له ذلك ؟ قال : بل كل من هلك له فرط من المسلمين كان له ذلك » .

وعن حسان بن كريب : أن غلاما منهم توفي بحمص فوجد عليه أبوه أشد الوجد ، فقال له حوشب ــ صاحب النبى صلى الله عليه وسلم ــ ألا أخبرك ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول في مثل ابنك « أن رجلا من أصحابه كان له ابن قد أدرك ، فكان يأتى مع أبيه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم توفي ، فوجد عليه أبوه قريبا من ستة أيام ، لا يأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالى لا أرى فلانا ؟ قالوا : يا رسول الله ان ابنه توفي فوجد عليه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآه : أتحب لو أن ابنك الآن كأنشط الصبيان وأكيسه . أتحب لو أن ابنك عندنا الآن كهلا كأفضل الكهول وأسراه . أو يقال لك : أدخل الجنة بثواب ما أخذناه منك » أخرجه أبو نعيم في المعرفة وهو في معجم ابن نافع وغيره .

وجاء عن عبد الله بن بريد عن أبيه رضي الله عنه قال « كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ بلغه وفاة ابن امرأة من الأنصار ، فقام وقمنا . فلما رآها قال : ما هذا الجزع ؟ قالت : يا رسول الله مالى لا أجزع وأنا رقوب لا يعيش لى ولد ؟ فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم : انما الرقوب التى يعيش ولدها أما تحبين أن ترينه على باب الجنة ، وهو يدعوك اليها ؟ قالت : بلى . قال : كذلك لك في ذلك » .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « أن رجلا من الأنصار كان له ابن يروح اذا راح الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فسأله نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتحبه ؟ فقال نعم يا نبى الله ، فأحبك الله كما أحبه . فقال : ان الله تعالى أشد لى حبا منك له . فلم يلبث أن مات ابنه ذاك . فراح الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد أقبل عليه ابنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو ما ترضي أن يكون ابنك مع ابنى ابراهيم يلاعبه تحت ظل العرش ؟ قال : بلى يا رسول الله » أخرجه الطبرانى في معجمه الكبير .

وخرج ابن حبان في صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذرارى المؤمنين يكفلهم ابراهيم عليه السلام في الجنة » وفي الحديث الطويل عن سمرة بن جندب رضي الله عنه في رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم « أنه أتانى الليلة آتيان وأنهما ابتعثانى ــ وفيه فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع ، واذا بين ظهرانى الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء ، واذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط » وذكر الحديث وفيه « وأما الرجل الطويل الذى في الروضة فانه ابراهيم عليه السلام ، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة » الحديث خرجه البخارى مطولا ومسلم والترمذى والنسائى .

وخرج أبو نعيم الأصبهانى من طريق الطبرانى باسناد رواه عن صبيح أبى العلاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم القيامة نودى في أطفال المسلمين أن اخرجوا من قبوركم ، فيخرجون من قبورهم ، ثم ينادى فيهم : أن أمضوا الى الجنة زمراء فيقولون : يا ربنا ووالدينا معنا ؟ فيقول في الرابعة : ووالديكم معكم . فيثب كل طفل الى أبويه فيأخذون بأيديهم ، فيدخلونهم الجنة ، فهم أعرف بآبائهم وأمهاتهم يومئذ من أولادكم في بيوتكم » .

وما أحسن ما عزى بعضهم صاحبا له بولده فقال :

فان كنت تبكيه طلابا لنفعه   فقد نال جنات الخلود مسارعا

وان كنت تبكى أنه فات عوده   عليك بنفع فأسل قد صار شافعا

وخرج الترمذى عن حماد بن سلمة عن أبى سنان ــ يعنى عيسى بن سليمان القسملى ــ قال : دفنت ابنى سنانا وأبو طلحة الخولانى جالس على شفير القبر ، فلما أردت الخروج أخذ بيدى فقال : ألا أبشرك يا أبا سنان . قلت : بلى . قال : حدثنى الضحاك بن عبد الرحمن بن عزرب عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا مات ولد العبد قال الله عز وجل لملائكته : قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم . فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم . فيقول : ماذا قال عبدى ؟

فيقولون : حمدك واسترجع • فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتا في الجنة ، وسموه بيت الحمد » •

وخرجه الامام أحمد في مسنـده والطبراني في معجمه • وجاء عن زيد ابن أسـلم قال « مات ولد لداود النبي صلى الله عليه وسـلم ، فحزن حزنا شديدا فأوحى الله اليه : ما كان يعدل هـذا الولد عندك ؟ قال : يارب كان يعدل هذا عندي ، ملء الأرض ذهبا • قال : فلك عنـدي يوم القيامـة ملء الأرض ثوابا » •

وببعض ما أوردناه ، وبما روى ممـا جاء في معناه يتعزى عن مصـابه من وفقه الله وهداه •

ولقد جاء عن جماعة من العلماء والعباد تمنى تقديم الأولاد لما يعلمون في ذلك للمصاب من جزيل الأجر ، وتضاعف الثـواب • قال أبو الأحوص عوف بن مالك الجشمي : « دخلنا على ابن مسعود رضي الله عنه وعنده بنون له ثلاثة غلمان كأنهم الدنانير حسنا ، فجعلنا نعجب من حسنهم • فقال لنا : كأنكم تغبطوني بهم • قلنا : أي والله ، لمثل هؤلاء يغبط المرء المسلم ، فرفع رأسه الى سقف بيت له صغير ، قد عشش فيه خطاف وباض • فقال : والذي نفسي بيـده ، لأن أكون نفضت يدي عن تراب قبورهـم ، أحب الى من أن يسقط عش هذا الخطاف ، وينكسر بيضه » •

وقال أبو مسلم الخولاني رحمة الله تعـالى عليه : لأن يولد لي مولود يحسن الله نباته ، حتى اذا استوى على شبابه ، وكان أعجب ما يكون ، قبضه الله مني أحب الى من أن تكون لي الدنيا وما فيها •

وروى أن عبد الله بن شـوذب البلخي ، كان له ابن وقد قارب الحلم ، فأرسل الى قومه فقال : أدعوا وتؤمنون على دعائي • قالوا : نعم • فدعا الله جل ثناؤه أن يقبض ابنه وليس له غيره • فأمن القوم • ثم قالوا : يا أبا فلان، ما حملك على هذا ، وليس لك ولد غيره ؟ قال : انى رأيت كأن النـاس قد حشروا ليوم القيامة • فأصـاب الناس حر شـديد ، وعطش شـديد ، فاذا

الولدان قد خرجوا من الجنة ومعهــم الأباريق ، والكؤوس فيها الشراب ، فأبصرت ابن أخ لى . فقلت له : يا فلان اسق عمك . قال : يا عم انا لا نسقى الا آباءنا وأمهاتنــا . قال : فأحببت أن يجعله الله لى فرطا قال : فمــا لبث الغلام أن مات » .

وقال محمد بن خلف ــ المعروف بوكيع ــ كان لابراهيم الحربى ابن ، وكان له احدى عشرة سنة . قد حفظ القرآن ولقنه الفقه شيئا كثيرا . قال : فمات . قال فجئت أعزيه . فقال لى : كنت أشتهى موت ابنى هــذا . قال : قلت : يا أبا اسحق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبى قد أنجب ، وحفظ القرآن ولقنته الحــديث والفقه ؟ قال : نعم رأيت في النوم كأن القيامــة قد قامت ، وكان صبيانا بأيديهم قلال فيها ماء . يستقبلون النــاس يسقونهم ، وكان اليوم يوما حارا شديدا حره . قال : فقلت لأحدهم : اسقنى من هــذا الماء . فنظر الى وقال : ليس أنت أبى . فقلت : فأيس أنتم ؟ قال فقال : نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا ، وخلفنا أباءنا نستقبلهم فنسقيهم المــاء . قال : فلهذا تمنيت موته » .

وليقل من أصيب بمصيبة أو نوع من البلاء ، ما أمر به من الاسترجاع والدعاء . ومن ذلك ما صح من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها . قالت « سمعت رسول الله صلى الله عليه وســلم يقول : ما من مسلم تصيبه مصيبة . فيقــول ما أمره الله : انا لله وانا اليه راجعــون . اللهم آجرنى في مصيبتى ، واخلف لى خيرا منها الا أخلف الله له خيرا منها ، قالت : فلما مات أبو سلمة قلت : أى المسلمين خير من أبى سلمة ، أول بيت هاجن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم انى قلتها . فأخلف الله لى رسول الله صلى الله عليه وسلم » الحديث أخرجه مسلم .

وعن أم سلمة أيضا رضي الله عنها قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل : انا لله وانا اليه راجعون . اللهم عندك أحتسب مصيبتى ، فأجرنى فيها وأبدلنى بها خــيرا منها » أخرجــه أبو داود والنسائى في عمل اليوم والليلة .

وخرج ابن ماجة عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها رضي الله عنهما قالت « قال النبى صلى الله عليه وسلم : من أصيب بمصية فذكر مصيبته فأحدث استرجاعا وان تقادم عهدها كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب » وخرجه الامام أحمد ولفظه « ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكرها ، وان قدم عهدها فيحدث لذلك استرجاعا ، الا جدد الله تبارك وتعالى له عند ذلك مثل أجرها يوم أصيب » .

وجاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الضرب على الفخذ يحبط الأجر ، والصبر عند الصدمة الأولى ، وعظم الأجر على قدر عظم المصيبة ، ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله أجرها كيوم أصيب » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه « نعم العدلان ، ونعم العلاوة ، الذين اذ أصابتهم مصيبة : قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » وعلقه البخارى عن عمر وهو من رواية سعيد بن المسيب . والعدلان : الصلاة والرحمة . والعلاوة : الهدى .

وروى عن عبد الله بن مطرف بن عبد الله بن الشخير ، وقد مات له ولد « والله لو أن الدنيا وما فيها لى ، فأخذها الله عز وجل منى ، ثم وعد لى عليها شربة من ماء ، لرأيتها لتلك الشربة أهلا ، فكيف بالصلاة والرحمة والهدى » .

وروى عن ثابت البنانى قال « مات عبد لله بن مطرف ، فخرج مطرف على قوم في ثياب حسنة ، وقد ادهن فغضبوا وقالوا : يموت عبد الله ثم يخرج في ثياب مثل هذه مدهنا ؟ قال : أستكين لها وقد وعدنى ربى تبارك وتعالى عليها ثلاث خصال ، كل خصلة منها أحب الى من الدنيا وما فيها كلها ، قال الله تعالى (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) فاستكين لها بعد هذا » .

وروى عن سعيد بن جبير « ما أعطى أحد ما أعطيت هذه الأمة ، قال الله تعالى (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون • أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام ألم تسمع الى قوله : يا أسفا على يوسف » •

وروى عن الحسن البصرى رحمة الله تعالى « أنه جاءه رجل فقال يا أبا سعيد انه كان لى ابن صغير فمات ، فاذا رأيت شيئا مما كان يلعب به جزعت من ذلك جزعا شديدا • فقد خفت أن يحبط بذلك أجرى قال : لن يحبط الله أجرك فاذا رأيت شيئا من ذلك فقل : اللهم اجعله لى أجرا ، اللهم اجعله لى فرطا » •

ومما يؤثر : من صبر من أصيب بأحبابه وتعزى بحسن العزاء عن مصابه، ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال « مات ابن لأبى طلحة من أم سلمة ، فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه • قال : فجاء فقربت اليه عشاء فأكل وشرب قال : ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك • فوقع بها أنه قد شبع وأصاب منها • قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت ، فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوا ؟ قال : لا • قالت فأحتسب ابنك • قال : فغضب وقال : تركتينى حتى تطلخت ثم أخبرتينى بابنى منى • فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله لكما في غابر ليلتكما • قال : فحملت » وذكر الحديث • وفيه « فولدت غلاما وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح وجهه ، وسماه عبد الله» خرجاه في الصحيحين • وهذا لفظ مسلم مختصرا •

وفي رواية البخارى قال سفيان بن عيينة « فقال رجل من الأنصار فرأيت لهم تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن ، يعنى من أولاد عبد الله الذى ولد من جماع تلك الليلة ، التى مات فيها الولد المذكور ، وهو أبو عمير الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يداعبه • ويقول : يا أبا عمير

ما فعل التغير » والحديث المذكور علقه بزيادة في آخره طاهر بن محمد الحداد في كتابه (عيون المجالس) عن معاوة بن قرة بنحوه

وفي أخرى قال « فحملت بابن له ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى جعل في أمتي مثل صبارة بني اسرائيل . فقيل : يا رسول الله . وما كان من خيرها ؟ فقال : كان في بني اسرائيل امرأة وكان لها زوج ، وكان لها منه غلامان . وكان زوجها أمرها بطعام تصنعه ليدعو الناس عليه ففعلت . واجتمع الناس في داره فانطلق الغلامان يلعبان فوقعا في بئر كانت في الدار ، فكرهت أن تنغص على زوجها الضيافة ، فدخلتهما البيت وسجتهما بثوب ، فلما فرغوا دخل زوجها فقال : أين ابناي ؟ قالت : هما في البيت ، وأنها كانت تمسحت بشيء من الطيب وتعرضت بالرجل حتى وقع عليها ، ثم قال أين ابناى ؟ قالت هما في البيت فناداهما أبوهما فخرجا يسعيان . فقالت المرأة سبحان الله ، والله لقد كانا ميتين . ولكن الله تعالى أحياهما ثوابا لصبرى » وكان أبو ذر رضي الله عنه لا يعيش له ولد فقيل له : انك امرء ما يبقى لك ولد ؟ فقال : الحمد لله الذى يأخذهم في دار الفناء ، ويدخرهم في دار البقاء .

ويروى عن المعافي بن عمران عن شهاب بن خراش ، عن عبد الرحمن ابن غنم قال « دخلنا على معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وهو قاعد عند رأس ابن له وهو يجود بنفسه ، فما ملكنا أنفسنا أن ذرفت أعيننا وانتحب بعضنا . فزجره معاذ وقال : مه ، فوالله ليعلم الله برضائى بهذا أحب الى من كل غزوة غزوتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانى سمعته يقول : من كان عليه عزيزا وبه ضنينا فصبر على مصيبته وأحتسبه أبدل الله الميت دارا خيرا من داره » وقرارا خيرا من قراره ، وأبدل المصاب الصلاة والرحمة والمغفرة والرضوان ، فما برحنا حتى قضي الغلام حين أخذ المنادى لصلاة الظهر ، فرحنا نريد الصلاة فما فجئنا الا وقد غسله وحنطه وكفنه »

وجاء رجل بسريره غير منتظر لشهادة الاخـوان ولا لجميع الجيران . فلما بلغنا ذلك تلاحقنا فقلنا : يغفر الله لك يا أبا عبد الرحمن . هلا انتظرتنا حتى نفرغ من صلاتنا ؟ ونشهد ابن أخينا ، فقال : أمرنا ألا ننتظر موتانا سـاعة ما توافق ليل أو نهار ، والاذن فيهم من نعى الجاهليـة قال : فنزل في القبر ونزل معه آخر . فقلت : الثالث يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : انما يقول الثالث الذين لا يعلمون . فلما سوى عليه التراب أراد الخروج فناولته يدى لأنشطه من القبـر ، فأبى وقال : ما أدع لك لفضـل قوتى ، ولـكن أكره أن يرى الجاهل أن ذلك منى جزع واسترخاء عند المصيبة » . ثم أتى مجلسه فدعى بدهن فادهن ، وبكحـل فاكتحـل ، وبردة فلبسها ، وأكثر في يومـه ذلك من التبسم ينوى به ما ينوى ، ثم قال : انا لله وانا اليه راجعون ، في الله خلق من كل هالك ، وعزاء من كل مصيبة ودرك من كل ما فات » وذكر الحديث.

وقال نافع مولى بن عمر « اشتكى ابن لعبد الله بن عمر رضي الله عنهم، فاشتد وجده عليه ، حتى قال بعض القوم : لقد خشينا على هـذا الشيخ ان حدث بهذا الغـلام حـدث ، فمات الغلام . فخـرج ابن عمر في جنـازته وما رجل أبدى سرورا . فقيل له في ذلك . فقـال ابن عمر : انما كان رحمة فلما وقع أمر الله رضينا به » .

وروى عن سفيان الثورى قال « قال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك وهو مريض : كيف تجدك ؟ قال في المـوت ، قال له : لأن تكون في ميزانى أحب الى أن أكون في ميزانك . فقـال له : والله يا أبت لأن يكون ما تحب أحب الى من أن يكون ما أحب . قيل : فلما مات ابنه عبد الملك . قال عمر : يا بنى ، لقد كنت في الدنيا كما قال الله جل ثناؤه (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ولقد كنت أفضل زينتها . وانى لأرجو أن تكون اليوم من الباقيات الصالحات التى هى خير ثوابا وخـير أملا . والله ما سرنى أن دعـوتك من جانب فأجبتنى . ولما دفنـه قام على قبره فقال : ما زلت مسرورا بك منـذ بشرت بك . ومـا كنت قط أسر الى منـك اليـوم ، ثم قال : اللهـم اغفر لعبد الملك بن عمر ولمن استغفر له .

وروى ابن المبارك رحمه الله تعالى في الزهد عن عياض بن عقبة الفهري « أنه مات ابن له فلما نزل في قبره قال رجل : والله ان كان لسيد لجيش فاحتسبه . فقال : وما يمنعني وقد كان بالأمس من زينة الحياة الدنيا . وهو اليوم من الباقيات الصالحات » .

وروى أن شريحا القاضي مات له ابن ، فجهزه وغسله ودفنه بالليل . ولم يشعر به أحد ، وجلس للقضاء من الغد ، فجاء الناس على حسب العادة يعودونه ويسألونه عنه . فقال : الآن فقد الأنين والوجع ، فظن الناس أنه عوفي ، فسروا بذلك فقال : احتسبناه في جنب الله عز وجل ، وهو يضحك ، فتعجب الناس من ذلك .

ومات ابن لوكيع بن الجراح رحمه الله تعالى فخرج وروى للناس أربعين حديثا . زيادة على ما كان يروى كل يوم .

وقال أبو على الرازى رحمة الله عليه : صحبت الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكا ولا متبسما الا يوم مات على ابنه رحمه الله تعالى . فقال : ان الله سبحانه أحب أمرا فأحببت ما أحب الله .

وروى جعفر السراج من حديث سعيد بن عثمان قال : دخل ذو النون رحمه الله على مريض يتعوده فرأى المريض يئن . فقال ذو النون : ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضره . فقال المريض : لا . ولا صدق في حبه من لم يتلذذ بضره .

وقيل لرجل : كم لك ولد ؟ قال تسعة . فقيل له : انما نعرف لك واحدا؟ فقال : كان لى عشرة فقدمت تسعة ، وبقى لى واحد ، فلا أدرى أنا له أم هو لى .

وروى عن عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى عن عمه قال : كان بحمى ضرية عجوز من بنى بكر بن كلاب ، يتحدث قومها عن عقلها وسدادها ، فأخبرنى من حضرها وقد مات ابن لها وكان واحدها ، وقد طالت علتهوأحسنت تمريضه . فلما مات قعدت بفنائها وحضرها قومها فأقبلت على شيخ لهم .

فقالت : يا فلان ما حق من ألبس العافية ، وأسبغت عليه النعمة ، واعتدلت به الفطرة ، أن لا يعجز عن التوثق لنفسه قبل حل عقدته . والحلول بقفرته ينزل الموت بداره . تعنى فيحول بينه وبين نفسه .

ثم أنشدت تقول :

هو ابني وأنسي أجره لي واعزني   على نفسه رب اليه ولاؤها
فان احتسب أوجز وان أبك آكن   كباكية لم يغن شيئا بكاؤها

فقال الشيخ : انما لم نزل نسمع أن الجزع انما هو للنساء ، فلا يجزعن رجل بعدك . ولقد كرم صبرك ، وما أشبهت النساء فأقبلت عليه بوجهها وقالت : انه ما ميز أمر بين جزع وصبر ، الا وجد بينهما منهجين بعيدين التفاوت في حالتيهما ، أما الصبر فحسن العلانية محمود العاقبة . وأما الجزع: فغير معوض عوضا مع مأثمه ، ولو كانا في صورة رجلين لكان الصبر أولاهما بالغلبة ، وبحسن الصورة ، وكرم الطبيعة في عاجل الدين وآجله في الثواب . وكفى بما وعد الله عز وجل فيه لمن الهمه الله اياه .

وقيل لأعرابية مات ابنها فصبرت : ما أحسن عزاءك ؟ فقالت ان فقدى اياه أمنني المصيبة بعد .

وأنشد بعضهم في معناه :

وكنت عليه أحذر الموت وحده   فلم يبق لى شيء عليه أحاذر

وقال آخر :

ألا فليمت من شاء بعدك انما   عليك من الأقدار كان جداريا

وقال معن بن أوس من أبيات :

واعلم أنى لم تصبنى مصيبة   من الدهر الا قد أصابت فتى قبلى

وقال عبد الملك بن قريب الأصمعى : خرجت أنا وصديق لى الى البادية، فضللنا الطريق فاذا نحن بخيمة عن يمين الطريق فقصدنا نحوها ، فسلمنا فاذا امرأة ترد علينا السلام . قالت : ما أنتم ؟ قلنا : قوم ضالون رأيناكم فأنسنا بكم . فقالت : يا هؤلاء ولوا وجوهكم عنى حتى أقضي من حقكم ما أنتم

له أهل ، ففعلنا فألقت الينا مسحا ، فقالت : اجلسوا عليه الى أن يأتى ابنى . ثم جعلت ترفع طرف الخيمة وتردها الى أن رفعته مرة . فقالت : اسـأل الله بركة المقبل . أما البعير فبعـير ولدى ، وراكبه فليس بولدى . قال فوقف الراكب عليها وقال يا أم عقيل . أعظم الله أجرك في عقيـل ولدك . فقالت : ويحك مات ولدى قال : نعم . قالت : وما سبب موته ؟ قال : ازدحمت عليه الابل فرمت به في البئر . فقالت : انزل واقض ذمام القوم ، ودفعت اليه كبشا فذبحه وأصلحه وقرب الينا الطعام . فجعلنا نأكل ونتعجب من صبرها . فلما فرغنا خرجت الينـا ، وقالت : يا قوم هل فيكم أحـد يحسن من كتاب الله عز وجل شيئا . قلت : نعم ؟ قالت فاقرأ على آيات أتعزى بها عن ولدى .

قلت : يقول الله تعالى (وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا: انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم وأولئك هم المهتدون) قالت : آلله انها لفى كتاب الله هكذا قلت : والله انها لفى كتاب الله هكذا . فقالت : السلام عليكم . ثم صفت أقدامها وصـلت ركعات ثم قالت : انا لله وانا اليه راجعون . وعند الله أحتسب عقيلا .

ثم قالت : اللهم انى فعلت ما أمرتنى به فأنجز لى ما وعدتنى ، ولو بقى أحد لأحد . قال : فقلت في نفسي : تقول لبقى ابنى لحاجتى اليه ، فقالت : لبقى محمد صلى الله عليه وسلم لأمته ، فخرجب وأنا أقول : ما رأيت أكمل منها ولا أجزل . ذكرت ابنها بأحسن خصاله وأجـل خلاله رحمهما الله ، ثم لما علمت أن الموت لا مدفع له ولا محيص عنه ، وأن الجزع لا يجدى نفعا ، وأن البكاء لا يرد هالكا ، رجعت الى الصبر الجميل ، واحتسبت ابنها عنـد الله عز وجل ذخيرة نافعة ، ليوم الفقر والفاقة .

وقال الأصمعى رحمه الله تعالى أيضا : رأيت بالبادية اعرابية جالسة على قبر ابن لها تندبه وهى تقول :

قـبر عـزيز علينـا ... لو أن مـن فيـه يفـدى
أسـكنت قـرة عينى ... ويؤنس النفس لحـدا

ما جـار خـلق علينـا ولا القضـاء تعـدى
والصـبر أحسـن شيء به الـكريـم تردى

وقال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد أخبرنا عبد الرحمن عن عمه عن يونس قال : « بينا عمر بن الخطـاب رضي الله عنـه في بعض الطرق اذا بأعرابي قد أقبل فقال : يا أعرابي من أين أقبلت ؟ فقال : من عنـد وديعة لي في هذا الجبل . قال : وما وديعتك ؟ قال : بني لي دفنته منذ سنتين ، فأنا في كل يوم أزوره وأندبه ، فقال عمر : سـألتك بالله ألا أسمعتني بعض ذلك ؟ فقـال :

يا غائبا ما يؤوب من سـفره عاجـله مـوته من صـغره
يا قرة العين كنت لي أنسا في طول ليـلي نعم وفي سـحره
ما تقع العـين أينمـا وقعت في الحي مني على أثره
شربت كأسا أبوك شاربها لابد يومـا له على كبره
يشربهـا والآنـام كلـهم من كان في بـدوه وفي حضره
فالحمد لله لا شريك له في علمـه كان ذا وفي قـدره
وقد قسم الموت في العباد فما يقـدر خلق يزيد في عمـره

قال : فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال : صدقت يا أعرابي » .

وقال أبو العباس أحمد بن مسروق : حدثنا محمـد بن الحسين قال : حدثني موسي بن عيسي عن الوليد بن مسلم عن أبي عمرو الأوزاعي : قال : حدثني بعض الحكماء قال : خرجت وأنا أريد الرباط حتى اذا كنت بعريش مصر ، اذا أنا بمظلة وفيها رجل وقد ذهبت عيناه ، واسترسلت يداه ورجلاه وبه أنواع البلاء . وهو يقول : لك الحمـد سيدي ومولاي . اللهـم اني أحمدك حمدا يوافي محامد خلقك ، كفضلك على سائر خلقك ، اذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلا ، فقلت : والله لأسئلنه أعلمه أو ألهمه الهاما ، فدنوت منه وسلمت عليه . فرد على السلام فقلت له : رحمك الله اني أسألك ء شيء تخبرني به أم لا ؟ فقال : ان كان عندي منه علـم أخبرتك به . فقلت رحمك الله ، على أي نعمة تحمده ، أم على أي فضيلة من فضائله تشكره ؟

فقال : أو ليس ترى ما قد صنع بى ؟ فقلت : بلى • فقـال : والله لو أن الله تبارك وتعالى صب على نارا تحرقنى ، وأمر الجبال فدمرتنى • وأمر البحار فغرقتنى ، وأمر الأرض فخسفت بى • ما ازددت له سـبحانه الا حبا ، ولا ازددت الا شكرا • وان لى اليك حاجة أفتقضيها لى ؟ قلت : نعم قل ما تشاء• فقال بنى لى كان يتعاهدنى أوقات صلاتى ، ويطعمنى عنـد افطارى • وقد فقدته منذ أمس • فانظر هل تحسه لى ؟ قال فقلت في نفسي : ان في قضـاء حاجته لقربة الى الله عز وجل • وقمت وخرجت في طلبـه حتى اذا صرت بين كثبان الرمال ، اذا أنا بسبع قد افترس الغلام يأكله • فقلت انا لله وانا اليـه راجعون • كيف آتى هذا العبد الصالح بخبر أبيه • قال فأتيته وسلمت عليه فرد على السلام • فقلت : رحمك الله ان سألتك عن شيء تخبرنى به ؟ فقال : ان كان عندى منه علم أخبرتك به • قال : قلت : أنت أكرم على الله عز وجل وأقرب منزلة ، أم نبى الله أيوب عليه السلام ؟ فقال : بل أيوب عليه الصلاة والسلام أكرم على الله منى وأعظم عند الله منزلة منى ، فقلت : ابتـلاه الله فصبر حتى استوحش منه من كان يأنس به ، وكان غرضا لمرار الطريق • واعلم أن ابنك الذى أخبرتنى وسألتنى أطلبه لك افترسه السبع ، فأعظم الله أجرك فيه • فقال : الحمد لله الذى لم يجعل في قلبى حسرة من الدنيا ثم شهق شهقة وسقط على وجهه ، فجلست ساعة ثم حركته فاذا هـو ميت • فقلت : انا لله وانا اليه راجعون • كيف أعمل في أمره ، ومن يعيننى على غسـله وكفنه ، وحفر قبره ودفنـه ، فبينا أنا كذلك اذا أنا بركب يريدون الرباط : فأشرت اليهم فأقبلوا نحوى حتى وقفوا على ، فقالوا : ما أنت وما هذا ؟ فأخبرتهم بقصتى ، فعقلوا رواحلهم وأعانونى حتى غسلناه بماء البحر ، وكفناه بأثواب كانت معهم ، وتقدمت أنا فصليت عليه مع الجماعة فدفناه في مظلته ، وجلست عند قبره آنسا به أقرأ القرآن الى أن مضي من الليل ساعات فغفوت غفوة ، فرأيت صاحبى في أحسن صورة وأجمل زى ، في روضة خضراء عليه ثياب خضر ، قائما يتلو القرآن • فقلت له : ألست صاحبى ؟ قال : بلى • قلت : فما الذى صيرك الى ما أرى • فقال : اعلم أنى وردت مع الصابرين لله عز وجل

في درجة لم ينالوها الا بالصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء . واتبهت .

هاتان نعمتان عظيمتان : الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، من وفق لهما فقد وفق لخير عظيم ، ومن قام بهما فقد فاز بثواب جسيم وحصل له رضي الرب الرحيم .

وأقول :

ينال الرضي عبد يقابل نعمة بشكر ويلقى الصبر في العسرة ناصره
ومن رضي الرحمن عنه فانه سعيد بفضل الله دنيا وآخره

وتحقيق الصبر على المصيبة بأمور :

منها : النظر الى أن المصيبة في غير الدين أهون وأيسر عند المؤمنين .
ومنها : أن فوق كل مصيبة ما هو أشد منها ، فيفكر المصاب في مصيبته وما فوقها فيسلوا عنها . قال رجل لسهل بن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى : دخل اللص بيتى وأخذ متاعي . فقال : اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فأفسد ايمانك ماذا كنت تصنع ؟

وروى أن امرأة من العرب مرت بابنين لها ، وقد قتلوا . فقالت : الحمد لله رب العالمين . ثم قالت :

وكل بلوى تصيب المرء عافية
ما لم يصب يوما يلقى الله في النار

ومنها : العلم بأن المصائب كفارات مع أنها يسيرة فانية . وهى تدفع عقوبات الآخرة مع أنها خطيرة باقية .

ومنها : أن ما قدر يكون لا محالة ، ومن ابتلى فقد حصل ما قدر عليه وناله وكفى شر ذلك ووباله .

وما أحسن ما روى في معناه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه. فقال : ما ابتليت ببلاء الا وكان لله عز وجل على فيه أربع نعم . اذ لم يكن في دينى ، واذا لم يكن أعظم ، واذ لم أحرم الرضاء به ، واذ أرجو الثواب عليه.

وأنشد سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى :

وثقت نفس عارف فاطمـأنت ... رضـيت بالذى قضي فتهنت

لاح نور الهـدى لها مع يقين ... فاستضاءت بذاك ثم استكنت

فرمت باللـذيذ من كل عيش ... والى أقرب مـالك الملك حنت

ومن أسباب السلوى على المصائب ، وأقوى الأدوية لفاقد الحبيب ، العلم بأن الدنيا فانية وزائلة ، ومن سرورها وشرورها آفلة . وهى مخلوقة للذهاب والأفول ، وكل ما فيها يتغير ويحـول . ويضمحل ويفنى ويزول ، لأنها الى الآخرة طريق ، وهى مزرعة للآخرة على التحقيق .

روى عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال : كان لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ابن يجد به وجدا شديدا فمات الغـلام ، فحزن عليه حزنا شديدا ، وروى ذلك في قضـائه ومجلسه ، فبعث الله تعالى اليـه ملكين في هيئة البشر . فقال ما أنتما ؟ فقالا خصمان . قال : اجلسا بمجلس الخصوم. فقال أحدهما انى زرعت زرعا فأتى هذا فأفسده . قال سليمان عليه السلام : ما يقول هـذا ؟ قال : أصـلحك الله ، انه زرع في الطريق ، وانى مررت به فنظرت يمينا فاذا الزرع ، ونظرت شمالا فاذا الزرع ، ونظرت قارعة الطريق فاذا الزرع ، فركبت قارعة الطريق . فـكان في ذلك فساد زرعـه . فقـال سليمان عليه السلام : ما حملك على أن تزرع بالطريق . أما علمت أن الطريق سبيل الناس . ولا بد للناس من أن يسلكوا سبيلهم ؟ فقال له أحد الملكين : أو ما علمت يا سليمان أن الموت سبيل للناس ، ولا بد للناس من أن يسلكوا سبيلهم . قال : فكأنما كشف عن سليمان الغطاء . وهذا من لطيف التعزية لمن حلت به رزية ، ومن أعظمها نفعا وأقواهـا للجزع . رفعا ما صـح من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : « أرسلت بنت النبى صلى الله عليه وسلم اليه أن ابنا لى قبض فائتنا فأرسل يقرأ السلام . ويقول ان لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى . فلتصبر ولتحتسب . فأرسلت اليه تقسم عليه ليأتينها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبـل ، وأبى

ابن كعب ، وزيد بن ثابت ورجال ، فرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصبي ونفسه تقعقع • قال حسبنه أنه قال : كأنها شن • ففاضت عيناه صلى الله عليه وسلم • فقال سعد : يا رسول الله ما هذا ؟ قال : هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، فانما يرحم لله من عباده الرحماء » خرجاه في الصحيحين •

وجاء عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : « مات ابن لى فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من محمد رسول الله الى معاذ بن جبل ، سلام الله عليك ، فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو • أما بعد : فعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر . ورزقنا واياك الشكر • ثم ان أنفسنا وأموالنا وأهالينا وأولادنا من مواهب الله عز وجل الهنية ، وعواريه المستودعة • متعك الله به في غبطة وسرور ، وقبضه بأجر كثير ، ان صبرت واحتسبت لا تجمعن عليك ، يا معاذ ان يحبط جزعك أجرك فتندم على ما فاتك • فلو قدمت على ثوابك مصيبتك ، عرفت أن المصيبة قد يصبرن عنه ، واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يدفع حزنا فليذهب أسفك ، ما هو نازل بك فكان قد • والسلام » وخرجه أبو أحمد العسكرى في كتابه (المواعظ) من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما عن معاذ بن جبل رضي الله عنه بنحوه ورويناه من طريق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد عن معاذ رضي الله عنه •

وروى : أن على بن أبى طالب رضي الله عنه : عزى الأشعث بن قيس بولد له توفي • فقال له : ان تجزع على ابنك فقد تستحق ذلك بالرحم • ولك بيعقوب عليه الصلاة والسلام قدوة ، وان تصبر ففى الله خلف • يا أشعث ان صبرت جرى عليك القدر ، وأنت مأجور ، وان جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور • وأنشد بعضهم :

تعز بحسن الصبر عن كل هالك ... ففى الصبر مسلاة السهوم اللوازم

اذا أنت لم تسل اصطبارا وحسبة ... سلوت على الأيام سلو البهائم

وليس يذود النفس عن شهواتها ... من الناس الا كل ماضي العزائم

وروى أن أعرابيا من بنى كلاب ، أنشد عمر بن عبد العزيز حين مات ابنه عبد الملك فقال :

تعز أمير المؤمنين فانه ... لما قد ترى يغذى الصغير ويولد

هل ابنك الا من سلالة آدم ... لكل على حوض المنية مورد

ومات لأبى الأحوص ابن صغير ، فأتاه سفيان وزائدة يعزيانه . فكان فيما لسفيان بعد ما عزاه أن قال : ان الله سبحانه أنعم عليك به ـ يعنى الوالد ـ ان وهبه ما شاء أن يهب ، ثم أنعم عليك ان قبضه اليه فكان مذخورا لك عنده ، فلا تعد نعمته عليك مصيبة ، فكأنك قد لحقت به ، فسرك تقدمه اياك .

وروى الحاكم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المؤذن : سمعت محمد ابن عيسي الزاهد يقول : فيما بلغنا أن عبد الرحمن بن مهدى رحمة الله عليه، مات ابن له فجزع عليه جزعا شديدا ، حتى امتنع من الطعام والشراب ، فبلغ ذلك محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه ، فكتب اليه : أما بعد . فعز نفسك بما تعزى به غيرك ، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك ، واعلم أن أمضي المصائب فقد سرور مع حرمان أجر ، فكيف اذا اجتمعا على اكتساب زور » . وفي غير رواية الحاكم : فتناول حظك يا أخي اذا قرب منك قبل أن تطلبه ، وقد بعد عنك ألهمك الله عند المصائب صبرا ، وأجزل لنا ولك بالصبر أجرا » وفي رواية الحاكم وأقول :

انى معزيك لا انى على ثقة ... من الحياة ولكن سنة الدين

فما المعزى بباق بعد ميته ... ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وعزى اسماعيل بن هارون رجلا عن ابنه فقال : والله لمصيبة في غيرك لك أجرها ، خير من مصيبة فيك لغيرك ثوابها ، وعزى موسي ابن المهدى سليمان بن أبى جعفر ، عن ابن له مات . فقال : أيسدك وهو بلية وفتنة ، ويحزنك وهو صلاة ورحمة ـ يعنى بالأول ـ قوله تعالى

(انما أموالكم وأولادكم فتنة) وبالثانى قوله تعالى (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) .

وقال محمد بن كناسة . كتب رجل الى أخيه يعزيه بابنه : أما بعد فان الله عز وجل وهب لك موهبة . جعل عليك رزقه ومؤتته . وأنت تخشى فتنة ، فاشتد لذلك . فلما قبض الله سبحانه موهبته ، وكفاك مؤنته ، يعنى وأمنك فتنته . اشتد لذلك حزنك . أقسم بالله لو كنت تقيا لعزيت على ما هنيت عليه ، ولهنيت على ما عزيت عليه . فاذا أتاك كتابى هذا فاصبر نفسك عن الأمر الذى لا غنى بك عن ثوابه .

وعلم : أن مصيبته وان عظمت ، لم يذهب فرح ثوابها حزنها ، فذلك الحزن الدائم وأنشد بعضهم :

واذا تصيبك مصيبة فاصبر لها عظمت بلية مبتلى لا يصبر

وأنشد آخر :

وعوضت أجرا من فقيد فلا يكن فقيدك لا يأتى وأجرك ذاهب

وكتب محمد بن السماك الى هارون الرشيد يعزيه بولد له : أما بعد . فان استطعت أن يكون شكرك لله عز وجل ، حيث قبضه ، كشكرك له حيث وهبه لك . فافعل فانه حيث قبضه أحرز لك هبته . ولو بقى لم تسلم من فتنته . أرأيت جزعك على ذهابه ، وتلهفك على فراقه ، ارضيت الدار لنفسك فترضاها لابنك . أما هو فقد خلص من الكدر ، وبقيت متعلقا بالخطر والسلام .

وكتب ابن السماك أيضا الى رجل فقال : ان من تمام الشكر على العافية ، الصبر على الرزية . ومن قدم وجد ، ومن أخر فقد .

وروى أن ابنا للشافعى رضي الله عنه مات فأنشأ يقول :

وما الدهر الا هكذافاصطبر له رزية مال أو فراق حبيب

وقال محمد بن الحسين بن عياش : حدثنى عبد الله بن صالح . قال : وقف عبد الملك على قبر ابنه فقال :

وما الدهر والأيام الا كما أرى رزية مـــال وفــراق حبيب
وان امرءا قد جرب الدهر لم يخف
تقلب عصـــريه لغــــير لبيب

وقال أبو بكر ابن أبى الدنيـــا في كتاب العزاء : حدثني الحســين بن عبد الرحمن أن رجلا من قريش ، قال في ابن له :

بنى ان عدمتـــك في حيـــاتي فلن أعــدمك ذخرا في المعــاد
وكنت حشاشتي وجلاء همى والفى والمفــرج عن فــؤادى

قال : وقال أبو يعقوب الخزيمى يرثى ابنا له في قصيدة :

فلولا رجاء الأجر فيـــك وانه ثواب وان عز المصــاب عظيم
وانك قربــان لـــدى الله نافع وحظ لنا يوم الحساب جسيم
لأضعفحزنى يابنى وأوشكت على البـــواكى بالرنين تقـــوم

وأنشد بعضهم :

ومـــا يغنى التـــأوه اذ تولى وهـــل مـــا فات مرتجــــع
فاقرارا وتسليمـــا وصبرا على مـــا كان من قـــــدر الاله

وفي الابتلاء فوائد سنية ، وحكم ربانية ، منها ما ظهر بالاســـتقراء ، وعلم بعض ما فيـــه من النعماء ، ومنها مالم يظهـــر لكن ادخر الله به فضـــلا غزيرا . قال الله عز وجـــل (وعسي أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خـــيرا كثيرا) .

وروى الامام أحمد في الزهد ، من مراسيل الحسن « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : والله لا يعذب الله حبيبه ، ولكن قد يبليه في الدنيا » .

وأقول :

اذا اشتدت البلوى تخفف بالرضا عن الله قـــد فاز الرضي المـــراقب
وكـــم نعمـــة مقـــرونة ببليـــة على الناس تخفى والبلايا مواهب

ومن فوائد الابتلاء : النظر الى قهر الربوبية ، والرجوع الى ذل العبودية فانه ليس لأحد مفر عن أمر الله وقضـــائه ، ولا محيد له عن حكمـــه النافذ

وابتلائه ، انا لله ملكه وعبيده ، يتصرف فينا كما يشاءه وما يريده . وانا اليه راجعون في جميع أمورنا . واليه المصير يجمعنا لنشورنا .

ومنها حصول الاخلاص في الدعاء ، وصدق الانابة الى الله والالتجاء وشدة التضرع لمن لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء (وان يمسسك الله بضره فلا كاشف له الا هو) .

قال بعض السلف : سنة الله استدعاء عباده لعبادته ، بسعة الأرزاق ودوام المعافاة . ليرجعوا اليه سبحانه بنعمته . فاذا لم يفعلوا ابتلاهم بالبأساء والضراء ، لعلهم اليه يرجعون .

ومن فوائد الابتلاء : تمحيص الذنوب والسيئات ، وبلوغ الدرجات العلية في الجنات ، وأعلا من ذلك كله ، حصول رضي الله العظيم . الذى هو أفضل من الجنة ونعيمها المقيم .

ومنها معرفة قدر العافية لمن غفل عن احصاء ذلك وعده ، لأن الشيء لا يعرف الا بضده ، فيحصل بذلك الشكر الموجب للمزيد من النعم ، لأن ما وسع الله بالعافية وأنعم ، أكثر وأعظم ، مما ابتلى وأسقم .

روى أنه كان في زمن حاتم الأصم رجل يقال له : معاذ الكبير . أصابته مصيبة ، فجزع منها وأمر باحضار النائحات ، وكسر الأواني . فسمعه حاتم فذهب الى تعزيته مع تلامذته ، وأمر تلميذا له . فقال : اذا جلست فاسألني عن قوله تعالى (ان الانسان لربه لكنود) فسأله فقال حاتم : ليس هذا موضع السؤال . فسأله ثانيا ، وثالثا . فقال : معناه أن الانسان لكفور ، عداد للمصائب ، نساء للنعم ، مثل معاذ هذا ، ان الله تبارك وتعالى متعه بالنعم خمسين سنة ، فلم يجمع الناس عليها شاكرا لله عز وجل . فلما أصابته مصيبة جمع الناس يشكو من الله تعالى . فقال معاذ : بلى ان معاذا لكنود عداد للمصائب نساء للنعم . فأمر باخراج النائحات وتاب عن ذلك . ومنها حصول رحمة أهل البلاء الموجبة لرحمة الله وجزيل العطاء (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) .

ومنها : الدخول في زمرة المحبوبين ، المشرفين بمحبة رب العالمين ، فهو سبحانه اذا أحب قوما ابتلاهم .

ومنها تيقظ المبتلى من غفلته ، وطيب نفسه ببره واخراج صـــدقته . روينا عن ابراهيم بن العباس الصولى الكاتب . قال : اعتل الفضل بن سهل ذو الريا ستين علة بخراسان فهنوه بالعافية ، وتصرفوا في الكلام ، فلما فرغوا أقبل على الناس . فقــال : ان في العــلل لنعما ينبغى للعقــلاء أن يعرفوها تمحيص للذنوب ، وتعرض لثواب الصبر ، وايقاظ من الغفلة وادكار للنعمة في حال الصحة ، واستدعاء للتوبة ، وحض على الصدقة وفي قضاء الله تعالى بعد الخيار . قال : فنسي الناس ما تكلموا به وانصرفوا بكلام الفضل .

ومن فوائد الابتلاء : بقت الدنيا لانكادها . وبعث النفس على العمل ليوم معادها . فانه اذا تفكر في ذهاب أحبابه علم أنهـــم شربوا بكأس لا بد له من شرابه . قال محمد بن الحسين : دخلت على محمد بن مقاتل فقلت له : عظني . فقال : اعمل فان مت لم تعد أبدا . وانظر الى الذاهبين هل عادوا .

تذهب أيامنـــا على لعب منا بهــا والذنوب تزداد
أين أحبابنــا وبهجتهــــم بطيب أيــام عيشهـــم بــادوا

ومن فوائد الابتلاء : منع صــاحب البلية من خصــال غير مرضية ، كالخيلاء والكبر ، والأشر والبطر ، والتجبر ، فكم من مبتل بفقد العافية . حصلت له توبة خالصة شافية . وكم من مبتل بنفاد ماله ، انقطع الى الله تعالى بحسن حاله . وكم من مصاب بفقد الأولاد ، صبر على الحــكم النافذ على العباد ، فحصلت له من الله الصلوات والرحمة والهداية للرشاد . وبتحقيق ذلك يحصل الفرح الشرعى بالمصيبـــة وما يدانيها ، لا الفرح الطبعى . فان الكراهة بالطبع لا شك فيها . ولا يلام المصاب على حزن قلبه ودموع عينيه، وانما النياحة ونحوها ، من القول والفعل تحرم عليه .

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رضي القلب والعــين من الله عز وجــل . ورضي اليــد واللسان من

الشيطان » وصح عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أربع في أمتي لا يتركونهن : الفخر بالأحساب والطعن والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة . وقال : النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب » خرجه مسلم .

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أيما نائحة ماتت قبل أن تتوب ألبسها الله سربالا من قطران ، وأقامها للناس يوم القيامة » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « النائحة ـ يعني تخرج من قبرها شعثاء غبراء ، عليها درع من جرب وجلباب من لعنة » واضعة يدها على رأسها تقول : واويلاه . وملك يقول : آمين آمين . ثم يكون حظها من ذلك النار » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « ان هؤلاء النوائح يوم القيامة صفان في جهنم : صف عن يمينهم وصف عن يسارهم . ينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب » .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة » وصح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية » .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال « اشتكى سعد بن عبادة شكوا له ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم » فلما دخل عليه فوجده في غاشية فقال : قد قضي . قالوا : لا يا رسول الله . فبكى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى القوم بكاء النبي صلى الله عليه وسلم بكوا فقال : ألا تسمعون أن الله عز وجل لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا ـ وأشار الى لسانه ـ أو يرحم » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال « دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] فقبله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك ، وابراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان • فقال له عبـد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : وأنت يا رسـول الله ؟ فقال : يا ابن عوف انهـا رحمة • ثم أتبعها بأخرى • فقال صلى الله عليه وسلم : ان العين تدمع ،والقلب يحزن ، ولا نقول الا ما يرضي ربنا ، وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » •

وجاء عن سلمة بن محارب قال « وضع ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم في حجر النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يجود بنفسه ، فقال صلى الله عليه وسلم : لولا انه موعد صادق ، ووعـد جامع ، وان الماضي فرط الباقى وان الآخر لاحق بالأول ، لحزنا عليـك يا ابراهيـم • ودمعت عيناه • فقال صلى الله عليه وسلم : تدمع العـين ويحزن القلب • ولا نقـول الا ما يرضي الرب عز وجل ، وانا بك يا ابراهيم لمحزونون » •

وروى الزبير بن بكار ، من طريق عبد لله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب « أن ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم توفي فخرج به ، وخرج النبى صلى الله عليه وسلم يمشي أمام سريره ، ثم جلس على قبره ، ثم دلى في قبره ،فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وضع في قبره دمعت عيناه• فلما رأى أصحابه ذلك ، بكوا حتى ارتفعت أصواتهم • فأقبل عليه أبو بكر رضي الله عنه ، فقال : يا رسول الله تبكي وأنت تنهى عن البكاء ؟ فقال النبى

(١) بياض بالأصل . وقد جاء في صحيح البخـارى في كتاب الجنائز :

« وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم على أبى سيف القين ، وكان ظئرا لابراهيم عليه السلام ، فأخذ رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ابراهيم فقبله وشمـه ، ثم دخلنا عليـه بعد ذلك ، وابراهيم يجود بنفسـه ، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وانت يا رسول الله ؟ فقال : يا ابن عوف انها رحمـة ، ثم اتبعها باخرى ، فقال صلى الله عليه وسـلم : ان العين تدمـع والقلب يحزن ، ولا نقـول الا ما يرضي ربنـا وانا بفراقك يا ابراهيـم لمحزونون » .

صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر : تدمع العين : ويوجع القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب » .

وروى أن سليمان بن عبد الملك ، لما مات ابنه أيوب قال لعمر بن عبد العزيز ، ورجاء بن حيوة « اني لأجد في كبدي جمرة لا يطفئها الا عبرة» فقال عمر : اذكر الله يا أمير المؤمنين ، وعليك بالصبر . فنظر الى رجاء كالمستريح الى مشورته . فقال رجاء : اقضها يا أمير المؤمنين . فما بذلك من بأس . فقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال : العين تدمع والقلب يوجع ، ولا نقول ما يسخط الرب ، وانا بك يا ابراهيم لمحزونون . قال : فأرسل سليمان عينيه فبكى حتى قضي اربا . ثم أقبل عليهما فقال : لو لم أنزف هذه العبرة لانصدعت كبدي . ثم لم يبك بعدها . فلما دفن ابنه أيوب وحثى على قبره التراب . قال : يا غلام دابتي ثم التفت الى قبره فقال :

وقفت على قبر مقيم بقفرة   متاع قليل من حبيب مفارق

وجاء أن انسانا علويا من طبرستان مات ابنه ، فحضر الناس ليعزوه فلم يخرج اليهم في اليوم الأول ، ولا الثاني ، ولا الثالث . ثم خرج اليهم بعد ذلك فقال : ليس الموت بولدي ابتدى ، ولا عليه اعتدى ، ولا اليه انتهى . ولكني أتفكر في طول حسراته في الغربة علينا ، وطول حسراتنا على غربته ووحدته . وبكى ساعة وأنشد :

واحسرتا للغريب في البلد   النازح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا   بالعيش من بعده ولا انتفعا
هذا فؤادي لقد مليء أسفا   قطعه الشوق والنوى قطعا
يقول في نأيه وغربته   عدلا من الله كل ما صنعا

وروى أن بعضهم وقف على قبر يندب صاحبه في جماعة يكون معه ، فقال :

يا موت ما أمساك من نازل   تنزل بالمرء على رغمه

تخطف العذراء من خـدرها — وتأخـذ الواحـد من أمـه
لا صالحـا تبقى ولا طالحـا — الا تؤديــه الى ردمــه
حـكم عـزيز عالـم قـادر — سـبحانه ما جار في حـكمه

وروى الحافظ أبو عبد الله الحاكم في تاريخه عن سـعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال « دخلنـا مقابر المدينـة مع على بن أبى طالب رضي الله عنه ، فقام على قبر فاطمة عليهما السلام . وانصرف الناس فقال :

لكل اجتماع من خليلين فرقة — وان بقـائى بعـدكم لقليـل
وان افتقادي واحدا بعد واحد — دليل على أن لا يدوم خليـل
أرى علل الدنيـا على كثيرة — وصاحبها حتى الممات عليـل

وروى أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن النحاس ، من طريق محمد بن سليمان قال : قال العتبى « لما دفنت فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ، دفنها على رضي الله عنه ، ورجع وهو يقول :

لكل اجتماع من خليلين فرقة — وكل الذى دون الممات قليل
وان افتقادي واحدا بعد واحد — دليل على أن لا يدوم خليـل

وقال العتبى : وتمثل ببيت العطنش الطبى :

أقـول وقد فاضت دمـوعى غزيرة
أرى الأرض تبقى والاخـلاء تذهب
أخـلاى لو غير الممـات أصابكـم
جزعت ولـكن ما على الموت معتب

وما يروى من بكاء السلف عند الفراق ، وتسلهن بالأشعار عند غلبـة الأشواق كثيرة جـدا . وأحسن ما روى من ذلك منقولا . وأجـوده بكاء وأصدقه قيلا ، وأجمله رثاء وأعـدله تمثيلا ، ما روى عن جعفر بن محمـد عن أبيه ، عن على رضي الله عنهم قال « لما رش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة عليها السلام فأخذت قبضة من تراب القبر ، فوضعته على عينها وبكت وأنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمـد — أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت على مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى في كتاب الشريعة : بلغنى أنه لما دفن النبى صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة عليها السلام ، فوقفت على قبره ، وأنشأت تقول :

أمسي بخدى للدموع رسوم أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحسن في المواطن كلها الا عليك فانه معدوم
لا عتب في حزنى عليك لو أنه كان البكاء لمقلتى يدوم

ولقد أذكرنى هذا الكلام المنظم المشار فيه الى المصاب والأجل الأعظم ، موت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم أبياتا قلنها قديما في معناه ، نجعلها ختاما لما قدمناه وهى :

ما الأمر في ذى الدار الا منام كل سيدرى حين يأتى الحمام
يقول يا ليت وأنى له والموت قد أطلق فيه السهام
يود لو أمهله لحظة يتوب فيها عن ركوب الحرام
أنى له التوب وقد حشرجت في الصدر منه النفس للاصطلام
يا نائمين انتبهوا طالما غر الأ ولى الماضين طول المقام
بينا هموا في غفلة اذ أتى ما كفهم عن فعلهم والكلام
وأسكنوا في حفرة أذهب لحومهم لم تبق غير العظام
بل أسحقت تلك العظام التى وجوههم كانت تنير الظلام
يا حسن ما كنا جميعا فمذ ترحلوا عنا أقام الغرام
كلما مر حديث لهم تضا عف الشوق وزاد الهيام
لله هذا الموت لم يبق ذا تقوى لتقواه ولا ذا اجترام
ولو يحاشي أحدا في الورى حاشي نبى الله ذا الاحترام
لكنه أنهله كأسه وهو حبيب الله خير الأنام
فماجت الأرض بمن فوقها لموته وانهل صوب الغمام
وكل عين أنزفت دمعها وأهون الدمع عليه انسجام

وأصبـح المسجد من فقـده يبكى كذاك البيت ثم المقـام
بل كل الأرض عمهـا فقـده وقد علاها بعـد نور تنـام
ولم يجد خلق كأصحابه اذ أودعوه تحت تلك السلام
وانصرفوا عنـه وكل له حزن وهـم لا يطيق الكلام
لله موت المصطفى انه رزء عظيم لا يضـاهى العظام
فموت الخطب الجليـل الذى هان به رزء الجياد الـكرام
لكنه حى وفي روضة الـوسيلة العظـمى بأعلى المقـام
عليـه صـلى الله من فضـله وسـاق تسليمـا اليـه دوام
ثم على الآل وأصحـابه والتابعين الأطيبين السلام

***

آخر (برد الأكباد عن فقد الأولاد) والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسـلم تسليما كثيرا الى يوم الدين • تم بقلم الفقير الى ربه البصير عبـد الله الصالح الحسين ، غفر الله له ولوالديه ولمشايخـه واخـوانه الى يوم الدين • حـرر في ٨ رجب سنة ١٣٦١ هـ •

فصـل

من علم أن الدنيـا دار ممر ، وأن الآخرة هى دار المقـر ، ودار كدر لا صفو فيها للبشر ، ان أعطت قليلا سلبت كثيرا ، فكيف يأسي على مفقوده، أو يفرح بموجوده طبعت على كدر ، وأنت تريدها صفوا من الأكدار والأقذار ان أضحكت قليلا أبكت كثيرا ، وان أسرت يوما أساءت دهرا ، وان متعت قليلا منعت طويلا ، ممزوجة بالنغص ، مشوبة بالغصص •

قال ابراهيم الحربى : اتفق العقلاء من كل أمة ، أن من يمش مع القدر لم يتهن بالعيش •

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ان لكل فرحة ترحـة ، وما ملء بيت فرحا الا ملء ترحا •

وقال ابن سيرين : ما كان ضحك الا كان بعده بكاء .

وفي الترمذي مرفوعا « يود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا ، لما يرون من ثواب أهل البلاء » .

وقال بعض السلف : لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس ، فسبحان من ينعم بالبلاء ، ويبتلي بالنعماء ، قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت، ويبتلي الله بعض القوم بالنعم .

وعلى المصاب العاقل : أن يعلم أن الذى ابتلاه بها أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، وما أرسل اليه البلاء ليهلكه ولا يعذبه ، وانما أصابه ليمتحن صبره وايمانه ، وسمع تضرعه وابتهاله .

ما قد قضي يانفس فاصطبري له ... ولك الأمان من الذى لم يقدر
ولتعلمي أن المقدر كائن ... يجري عليك عذرت أو لم تعذري

قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى في قوله (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير) اعلم أن من علم أن ما قد قضي لا بد أن يصيبه ، قل حزنه وفرحه ، فهن المنايا أي واد سلكته ، عليها القديقى أو على طريقها .

قال ابن الجوزى : من يعلم حقائق الأشياء رأى الأسا عاما والاغراض منعكسة ، وعلى هذا وضع هذه الدار ، فمن طلب نيل غرضه من هذه الدار، فقد رام مالم توضع له . بل ينبغى أن يوطن نفسه على المكروه . فان جاءت راحة عدها عجبا :

ومن يرجو من الدنيا بقاء ... كمن يرجو شرابا من سراب

قال وهب بن منبه رحمه الله : لا يكون الرجل فقيها كامل الفقه ، حتى يعد البلاء نعمة ، ويعد الرخاء مصيبة .

وقال الحسن : الصبر كنز من كنوز الجنة،ولا يعطيه الله الا لعبد كريم.

ومات لبعض السلف ابن نفيس . فقال لأمه : اتقى الله واحتسبيه واصبرى . فقالت : مصيبتى أعظم من أن أفسدها بالجزع . وقال سليمان بن

القاسم : كل عمل يعرف ثوابه الا الصبر • وقال عمر بن عبد العزيز ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر • الا كان ما عوضه خيرا مما انتزعه • فاصبر ففي الغيب ما يغنيك عن حيل ، وكل صعب اذا صابرته هانا • ومن تيقن أنه صائر الى مولاه الحق ، وأنه لا بد أن يخلف الدنيا ولا أهل ولا عشيرة • ولكن بالحسنات أو السيئات • فكيف يطمئن الى وراء ظهره ، وأنه يجيء ربه فردا كما خلقه أول مرة ، بلا ولد ولا مال ، الدنيا ويطمع بالبقاء فيها ؟ ومن علم علما جازما أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه • فعليه أن يسلم أمره الى الله ، وأن يسارع على الصبر على مر بلاه ، فانه سبحانه جعل الصبر جوادا لا يكبوا ، وصارما لا ينبوا ، وجندا غالبا لا يهزم ، وحصنا حصينا لا يهدم ولا يثلم •

صبرت فكان الصبر خير مغبة ... وهل جزع يجدى على فأجزع
ملكت دموع العين حتى رددتها ... الى ناظرى،فالعين في القلب تدمع

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « وجدنا خير عيشنا بالصبر » وفي لفظ عنه « أفضل عيش أدركناه بالصبر • ولو أن الصبر من الرجال كان كريما » وعن على رضي الله عنه « الصبر مطية لا تكبوا » وقال أيضا : « ألا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، فاذا قطع الرأس بار الجسم ثم رفع صوته • فقال : ألا انه لا ايمان لمن لا صبر له » •

وقال بعض السلف في قوله تعالى (انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب) قال : كالماء المنهمر •

قال مجاهد في قوله تعالى (فصبر جميل) قال : في غير جزع •

وقال عمرو بن قيس (فصبر جميل) هو الرضي بالمصيبة والتسليم •
وقال جمع من المفسرين : أى لا شكوى معه :

لئن كان بدأ الصبر مرا مذاقه ... فقد يجتنى من غبه الثمر الحلو

قال ابن عقيل : تهون المصيبة • بالنظر الى جلال من صدرت منه وحكمته وملكه •

قال شقيق البلخي رحمه الله من شكى مصيبة نزلت به الى غير الله تعالى لم يجد في قلبه حلاوة لطاعة الله أبدا وعن قتادة في قوله تعالى (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) قال : كظيم على الحزن فلم يقل الا خيرا •

وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال « ما أبالى اذا رجعت الى أهلى على أي حال ، أراهم بسراء أم بضراء ، وما أصبحت على حال فتمنيت أني على سواها » •

أيا فرقة الأحباب لا بد لى منك ... ويادار دنيا انني راحل عنك
ويا قصر الآمال مالى وللمنى ... ويا سكرات الموت مالى وللضحك
ومالى لا أبكى لنفسي بعبرة ... اذا كنت لا أبكى لنفسي فمن أبكى

فاذا علم العاقل أن الجزع لا يرد الفائت ، ولكنه يسر الشامت ، وأنه قادح في الصبر ، منقص للأجر • فالواجب علينا الرضا والتسليم للاله المدبر الكريم •

أمور القضا تمضي يقينا بلا مرا ... على ذي الورى حتما فطوبى لصابر
فبعدا لمن يبغى خلاف الذى قضي ... ولم يرض بالمقدور تبا لخاسر
فكن راضيا بالله ربا مدبرا ... وسلم مقاليد الأمور لقادر
وكن صابرا واطلب رضي الله جاهدا ... تنل وعده يوم اللقاء والتفاخر
ثكلنا به طرا فانا لربنا ... وعما قليل راجعون لقاهر
رضينا بتدبير الاله وعدله ... فسلم أخي تسلم وكن خير صابر
فبشراك يوم الفوز بالربح والهنا ... فطوبى لمن يرضي بتدبير قادر
ستلقاه يوم الحشر أحوج ما تكن ... فأبشر وسر تلحق بجل المتاجر
على العمل المشروع لله مخلصا ... حنيفا سليما مستقيم السرائر
ودم سالما فالله يرعاك وحده ... من الشر والأسقام مع كل ضائر

والحمد لله أولا وآخرا . وظاهرا وباطنا ، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم . بقلم الفقير عبد الله الصالح الحسين ، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه واخوانه ، رجب سنة ١٣٦١ هـ .